ان النقطة الهامة التي يشير اليها هذا الكتاب ، هي ضرورة دخول الفكر الفلسطيني ميدان البحث التراثي الشعبي ، لانه ميدان هام وبالغ الدلالات. يضيء الكثير من الجوانب الغامضة وله انعكاسات هامة على جميع المستويات — التربوية والادبية والسياسية .

قمر جرش
كان حزينا

داخل مجزرة ايلول يرتفع الصوت الشعري . الدم الذي يغطي الطرقات والساحات ، يصبح على الورق كذلك صراعا دمويا حادا . يتوقف داخل اللحظة الدموية ، دون ان يستطيع التقاط أنفاسه ، فيخرج مشحونا برومانسية متفجعة ، وارادة على كتابة مراثي الزمن النضالي دون التخلي عن الاصرار النضالي نفسه ، داخل عرس السدم الفلسطيني ، تتكون الممارسة النضالية العربية . وهنا يحاول الشعر اختراق لحظة الرعب للوصول الى الغنائية النضالية . يتابع المناصرة في مجموعته الجديدة « قمر جرش كان حزينا » الخط الذي بناه لنفسه في مجموعتيه السابقتين . فالنبرة الاجتماعية المقاومة التي كانت ترتفع في قصائده لتشكل عالما رفضيا للواقع العربي الراهن ، تتابع هنا ، وان كانت تميل اكثر الى اللهجة الرومانسية التحريضية التي شكلت في السابق التيار الثاني داخل لغته الشعرية . فالشاعر لا يزال يصر على الانتساب الى الشعر « المقاوم » . يتعامل مع الشعر بوصفه سلاحا نضاليا واغنية نضالية . لذلك لا نتعجب من خفوت البحث التشكيلي في بنية قصيدته . انه يبحث عن الفاعلية اساسا . لذلك يرتفع الصوت المباشر في شعره ، ليشير الى المشكلات ، رافعا اصبع الاتهام : « لا تقولي : هم الموت انهم في الزمان .. الحقير علامات شؤم تزول » .

غير ان اصبع الاتهام حين يرتفع ، فانه يقف على ارض الحنين والغربة . فالحنين الى الارض — الخليل — يبقى هنا في خلفية جميع القصائد ، الارض هي النبع الذي منه ينفجر الشعر :

« عابرا نحو نبعك اني رحلت وطفت كل ...
البلاد — عن الوهج الساحلي عابرا وعدت ..
اشيل الاياب » .

يتشكل هذا الحنين الى الارض ، داخل عالم التشابيه القروية . فالشعر لا يزال تشبيها ، يقترب من الصورة الشعرية ، ثم يتابع في حلقة الحنين الرومانسي ، حيث تأتي الام لتشكل امتداد الارض ، فتنتصب الدموع خيمة من الاحزان . بين الارض والام يتكامل الشوق الفلسطيني داخل الهاجس الاساسي : الحرقة والحزن . لذلكيصبح للشعر لحنا حزينا . ينتصب الحس الجماعي ، وتأتي الام لتصبح ام الجميع :

« امي تبكيك كما لو كانت امك — امي الفلاحة
تنصب خيمة حزن — فلقد قتلوا وائل »

الموت الجماعي داخل المجزرة ، يصبح الموت احتفالا جماعيا ، فيأتي الشعر ليوحد اللغة بالاجساد التي تتساقط . هنا يأخذ الانتساب الى الارض مدلوله الواقعي . لكن اللحظة الشعرية ، تبقى بعيدة عن العرس الجماعي . تحاول ان تنتقل بين لحظة الموت ولحظة التأمل . فتأتي صدى للموت . « كاتبت الموت وكاتبني هذا الاسبوع » : لكن لحظة الموت ، تعود وتوحد الجميع فيداخلها، فيرتفع صوت الامل المباشر . يعتمد هذا الامل في تكونه وحركته على رصف اللحظات خلف بعضها، وحين يلجأ الى الصورة ، فانه يتوقف عندها لحظة ليشير الى الفصل الذي يأتي . هكذا تصبح القصيدة تتابعية في بنيتها ، لا تبحث من اكثر من الدلالة المباشرة . تصبح شعارا سياسيا يغني المرحلة :

« في الزمن الاتي ، نولد في الزمن الاتي

عز الدين المناصرة : **قمر جرش كان حزينا** دار ابن خلدون — بيروت — الطبعة الاولى — نيسان ١٩٧٤ .